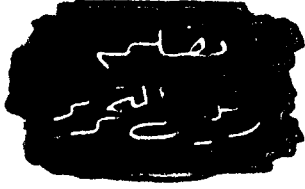


شهريات



١ - ساغان الجديدة

- مبهورة - في صورة بياتريس صورة لها هي نفسها تختلط فيها الروائية وبطلتها تارة ، وتارة اخرى تتجاهلان .

انه اذن الصراع الابدي بين الرجل والمرأة . والمرأة فيه ، بصورة خاصة ، تعتمد الى كل وسيلة لتسجيل الانتصار ، بما في ذلك سماحها لعشاق سابقين ان يحاولوا من جديد الانتصار عليها . واما الرجل فيمضي ، خافض الرأس ، في هذه « المهمة المستحيلة » ، وحولهما تقف باريس كلها لتحكم المباراة ، ولتزييفا ايضا ، كما تقول غبريل رولين في جريدة « لوموند » (عدد ٨ نيسان الماضي) .

ويتحدث روبير كانترز ، ناقد « الفيغارو » المعروف (عدد ٨ نيسان الماضي ايضا) عن رواية « السرير المخرب » ، فيصفها بانها اكثر روايات ساغان كلاسيكية : « وحدة المكان : سرير ، وحدة العمل : فعل الحب . شخصيتان رئيسيتان : ادوار وبياتريس » واكثر رواياتها رومانتيكية لانها مكرسة للوصف ولقصة حب طاغية على طريقة الفريد دو موسيه .

ويصف كانترز بطله الرواية بياتريس بانها متحررة في ميدان الحب ، وهي تقضم الرجل كلما اشتتهه كما تقضم ثمرة ، وتلفظه اذ تملته . اتكون انانية ام لا مبالية؟ انها اولاً جميلة ، مشتهاة ، تلقائية ، صريحة الى ابعدها ، وطبيعية في بحثها عن اللذة : فهي لا تكذب ، ولا تخدع . وادوار يحبها ، وهي له في السرير ، ولكنه يتعذب لان الحب شيء آخر ، حاجة الى اليقين والاخلاص والسعادة . وتلك هي زبدة الرواية وقوام الصراع : الصراع بين تلك التي تبحث عن اللذة ، وذلك الذي يبحث عن السعادة .

ويعبر الناقد الفرنسي بعد ذلك عن اعجابه بكتابة ساغان ، ويصفها بانها روائية مستقبلية .

من مطالعات هذا الشهر رواية فرنسية ودراسة عربية .

اما الرواية فهي آخر انتاج الكاتبة الفرنسية المعروفة فرانسوازساغان ، وهو بعنوان « السرير المخرب »
Le lit défait

وقد قرأت معظم روايات ساغان (١) ، واعتقد ان هذه الاخيرة اجملها واعمقها وادلتها على موهبة الكاتبة الفرنسية الفريدة .

والرواية قصة حب طاغ يستولي علي كاتب مسرحي في الخامسة والثلاثين ، يدعى ادوار مالفيراس ، لمثله تدعى بياتريس فالون اكبر منه سناً كانت قد صدته منذ خمسة اعوام ، ولكنها الآن تقبل به ولو قبولا لا مباليا ، بعد ان بدأ نجمه يلعب . ومع صعود الكاتب المسرحي ونجاحه وتألق شهرته ، فهو يظل يحتفظ بالعرشة وبشكوك المراهقة : لا قيمة في عالمه الا لبياتريس !

ولكن ادوار ، في غمرة استسلامه لعاطفته الطاغية ، لن يلبث ان يلقي على بياتريس شبكة اخطر من شبكة الحسد (مثلا) . وحول هذين الوجهين المركزيين الآتين من عالم المسرح والسينما ، تنبثق وتختفي كائنات ترصدتها المؤلفة وتأخذها في صميمية حقيقتها .

ان فرانسواز ساغان تصور في روايتها خفايا عاطفة تتلبس شكل صراع ثنائي يزيد تعقيدا ان كلا من بطليه محترف خيال : مؤلف وممثلة .

ولا مفرّ للقاريء من ان يحس بأن المؤلفة تتأمل

(١) كانت دار الاداب قد ترجمت ونشرت روايتها الثانية

(« هل نجيب برامس ») لدى صدورهما .

عدد اليوبيل المضي

تستعد ((الآداب)) لإصدار عددها الممتاز المنتظر بمناسبة بلوغها السنين الخمسة والعشرين . وهي لا تزال تنتظر ان يوافقها اصداقها الذين عهدت اليهم في اكلية البحوث والدراسات والشهادات بما طلب منهم ، حتى لا يتأخر صدور عدد اليوبيل المضي عن الوعد المقرر له - اواخر فصل الصيف .
(التحريز)

مواجهة الغرب المصور على انه انثى » .
هذا ما يقوله المؤلف في التعريف بكتابه .
ويعني هنا ان اقصر كلامي على دراسته لـ « الحي اللاتيني » ، وان كان الحكم على منهجه هنا ، ينسحب كذلك على سائر الاعمال التي تناولها .

وابدا المناقشة بايراد الخاتمة التي انهى بها المؤلف دراسته ، فهو يقول :

« من الممكن ، ختاماً ، ان يقال اننا ظلمنا بطل « الحي اللاتيني » لاننا حاكمناه بموجب لا وعيه اكثر مما حاكمناه بموجب وعيه . وهذا صحيح . ولكن لنا بدورنا اسبابنا المخففة . فبعض الاعمال الادبية ، ومنها « الحي اللاتيني » على ما خيلت اينا ، دالة بما لا نقوله اكثر منها بما نقوله ، بما تظمه اكثر منها بما تفصح عنه . ووظيفة النقد ، في مثل هذه الاحوال ، ان يستنطق المصنوع عنه لا المنجور به ، وان يتعامل مع منطق الرواية اكثر منه مع منطقها . ولم تكن مهمتنا ، اذ اخترنا هذا السبيل ، بالسهلة ، فنحن لم ندخل من الابواب المشرعة ، ولا حتى من الابواب الضيقة ، وانما قشنا عن سرايب ومسالك سرية . ولعلنا ، حين لم نجد لها ، شقناها ، ولعل مجهدنا ، لهذا السبب ، لم يكن يخلو من قدر من الاعتنا والاقتران . ولعل في اقرارنا هذا بعض انصاف لطل ربما اجفنا بحقه ، في الوقت الذي اجمع فيه غيرنا من النقاد على اعتباره نموذجاً ايجابياً » .

ان عبارة الكاتب الاخيرة ذات دلالة واضحة . فهي توحى ، من غير شك ، بأن الذي يحركه هو ان « يجمع » الدارسون على اعتبار البطل « نموذجاً ايجابياً » ، فاذا به يتجند « للتفرد » باثبات عكس ذلك . . . ولكنه ، بعد ان خاض هذه المعركة ، ساوره شعور بالذنب بانه ربما ظلم بطل « الحي اللاتيني » حين اختار ان يحلل ما تظمه الرواية ، لا ما تفصح عنه . .

ونحن من المؤمنين بأن من حق الدارس ، بل ربما كان من واجبه ، ان يتعمق تحليل العمل الفني ويذهب في ذلك شتى المذاهب . ولكن هناك شرطاً لا بد منه ، هو

والحق ان الذي اعجبني شخصياً في رواية « السرير المخرب » دقة تحليلها لذبذبات النفس البشرية وتقلباتها والغوص الى اعماق القلب وتناقضات الانسان حتى لكان المؤلف عالمة تحليل نفسي ، تعكف على قلب بياتريس ، اي على قلبها هي بالذات ، وتفحصه ، وتساؤه ، وتحنو عليه مرة ، وتارة تقسو . وبالرغم من ان مشاهد فعل الحب على السرير المخرب دائماً ، اي السرير الذي لا يرتب ابداً ، كثيرة متعددة ، فانها لا توحى بالفجور ، بل تكاد توحى بالحشمة ، لان غاية المؤلف انما هي ، عبر هذا كله ، نبضات القلب الانساني في فرجه وفي عذابه ، في سعاده وفي شقائه .

وانه لجدير بالقراء العرب ان يطلعوا على هذه الرواية الفريدة « (1) » .

٢ - حول « الحي اللاتيني »

واما الدراسة الادبية التي طالعها هذا الشهر ، فهي كتاب للصديق الاستاذ جورج طرايبي عنوانه « شرق وغرب ، انوثة ورجولة » (٢) .

وقد تناول المؤلف ، في فصل طويل ، روايتي « الحي اللاتيني » ضمن عدة اعمال روائية وقصصية لكتاب آخرين ، موضحاً انه « ليس من قبيل المصادفة ان تكون جميع الروايات العربية التي عالجت مشكلة العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب قد طرحت هذه المشكلة من منظور جنسي » . وازاد قائلاً : « فعلية الثقافة الحضارية ، بافتراضها وجود طرفين موجب وسالب ، فاعل ومنفعل ، تبعث لدى المثقف الشرقي شعوراً مرهقاً بالخصاء الفكري » .

الام يرمي كتاب جورج طرايبي اذن ؟ « الى تفكيك اوالية لعبة المثقف الشرقي الذي يعكس معادلة عنته الثقافية ، وينصب نفسه ذكراً يمثل فحولة الشرق في

(١) ستصدر قريباً عن دار الآداب .

(٢) منشورات دار الطليعة ، بيروت .

به الى هذا « التخبط » الذي يتجلى في كثير من احكامه وتحليلاته ..

١ - منذ البدء ، لا يريد المؤلف او لا يحاول ان « يفهم » بطل الرواية او « يفهمه » بل يصرّ على ان يعامله بـ « عدوانية » شديدة .. فهو يحكم على امساكه يد الفتاة في السينما بانه « فعل اغتصاب حقيقي » ، وان جزئي « (ص ٧٥) وعلى انتظاره للفتاة في اليوم التالي بانه « منظر يفدو باعثا على الرثاء » (ص ٧٥) وعلى نقصه في التجربة الجنسية (المتجلى بسرعة القذف) بانه « ضرب من العنة » . ولانه اسرع في العمل الجنسي مع مرغريت فقد « فضحته تجربته معها كرجل » ، ولانه لم يكتشف ان ليليان خدمته حين عزت لنفسها قسيده لبريفير ، فقد « فضحته تجربته معها كمتقف » (ص ٨١) .

ونعتقد ان استعمال هذه النعوت والوصاف لا يدل على موضوعية يفترض بالدارس ان يتحلى بها اذا شاء ان يكون متجردا في دراسته واحكامه - فضلا عن انها تتناقض والحيد الذي وحده يتيح الفهم الحقيقي للإبطال والمواقف .

٢ - بالرغم مما يظهره الاستاذ جورج من معلومات تدل على اطلاع واسع ، فان عددا من تصرفات البطل تفوته بسيكولوجيتها الحقيقية . (ام انه يتجاهل هذه البسيكولوجية لان فهم بواعثها يتعارض مع مخططه المبيت ؟) فبدلا من ان يفسر نقمة البطل واحباطه بعد تجارب معينة على ان ياعثهما نوع من التعزّي ومكاذبة النفس والسخرية من الذات ، يهاجم البطل بانه متخلف ورجعي ، وبان ايدولوجيته التقدمية ليست الا ظاهريّة (ص ٨٢) .

والحقيقة ان الكاتب يجد من واجبه دائما ان يدين ردود الفعل عند البطل ، ويطلبه بـ « المحاكمة العقلية الواعية » ، كأن المطلوب من الروائي ان لا يختار ابطالا يتصرفون بـ ردود الفعل ، او كأن البطل « الايجابي » في نظره يجب ان يتعد عن ردود الفعل .. ونحن لا نفهم ان يعتمد الكاتب هذا المقياس وهو يريد لبحثه ان يكون نفسيا - اجتماعيا !

والواقع ان الاستاذ طرايشي يهدر جهودا مضيئة يبذلها ليثبت ان البطل متناقض او متوهم او مخادع نفسه .. وهو ما يعترف به البطل نفسه لنفسه في كثير من المواقف .. على ان اعجب ما في موقف الكاتب هو انه يرفض ان يتطور البطل ، وان يحاول ان يتخلى تدريجيا عن « شريكته » . كل ذلك حتى لا تتخلخل « نظريته » التي تريد ان تثبت ان كل هموم البطل تتجمع في ان ينتقم من حبيبته ! فاذا قرر البطل ، بعد معاناة نفسية وخلقية ، ان يقلّب نزعته التحرر على التقاليد الشرقية ، وان يتحمل مسؤوليته التي تخلّى عنها في مرحلة من مراحل

الا يعتسف الدارس ولا يقتسر التفسيرات اقتسارا .. والاستاذ طرايشي يعترف بان مجهوده « لم يكن يخلو من قدر من الاعتناق والاقتسار » ، لانه فتش عن « سراديب ومسالك سرية » ولم يدخل من الابواب المشرعة ، ولاحتى من الباب الضيق .. ولكن الخطير في منهجه ، وهو ما نعتقد انه اوقعه في التعسف والاقتسار ، انه لا يتورع ، حين لا يجد السراديب والمسالك ، من ان « يشق » له سراديب ومسالك .. فلماذا تراه يجهد نفسه في شق مثل هذه السراديب ، ويترك الابواب العريضة او الابواب الضيقة ؟

والحق انه « يختار » من داخل هذه الابواب المشرعة بعض ما يفيد في مشروعه ، وهو المظاهر السلبية في تصرفات البطل ، فيما هو يرفض المظاهر الايجابية التي يتطور اليها سلوك البطل عبر تقلبات الاحداث ، وهذه « الانتقائية » تفسد جانبا من جوانب منهجية الكاتب . هذا فضلا عن ان ايجابية بطل من الابطال لا تقتضي بالضرورة ان يكون في جميع تصرفاته وحركاته وسكناته « ايجابيا » .. فالحقيقة ان الايجابية بذاتها لا يمكن ان تتجسد الا انتصارا على سلبية معينة ، والا كفتت عن ان تكون « بشرية » : ولا نقول « انسانية » ، انها نتيجة صراع مع انسانية ، تتغلب فيه عند مرحلة من مراحل التطور والسيرورة . وجميع النقاد والدارسين الذين تناولوا « الحي اللاتيني » ادركوا ان ايجابية بطله انما جاءت نتيجة صراعاته مع المجتمع ومع نفسه عبر اشكال كثيرة من السلبيات التي يفرضها عليه وسطه الاجتماعي وتقاليد ورواسبه .

وبعد ، فان آفة دراسة صديقنا الاستاذ جورج طرايشي هي انه يتعامل مع الرواية بنية مسبقة ، هي نظرية معينة يريد بأي ثمن تطبيقها على الاثر الذي يواجهه . فهو لكي يخالف الاجماع اولا ، يخترع حكما تعسفا يعينه على ادراج بطل « الحي اللاتيني » في النظرية العامة التي يريد ان يطبقها على الآثار التي تناولت مشكلة العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب .. وملخص رأيه ان بطل الرواية ، بسبب ما يسميه الكاتب « خصاه الفكري » او « عنته الثقافية » يضع منذ البدء « مشروعا كبيرا للانتقام » من حبيبته الاجنبية !

ويروح الكاتب يبحث في الرواية ويدقق عما يبتر له هذا الحكم في مسلك البطل وتصرفاته ، حتى اذا اعجزه ذلك ، لم يجد الا ان « يشق » سراديب في لاوعي البطل ليلصق به ، كيفما كان الحال ، هذه التهمة ، تهمة اعداد مشروع كبير للانتقام من انوثة الغرب ..

وليعدرنا الاستاذ جورج اذا قلنا ان ذلك قد ادى

وغير واع لمشروع الانتقام ؟ متى يعي البطل ومتى لا يعي؟
وما هو المقياس الذي يعتمده الدارس ؟

٤ - تعليقا على قول بطل آخر في الرواية : « ان حاجتي الى المرأة شديدة » يقول الكاتب : « المرأة اذن حاجة » (ص ١٠٦) .

ومن الواضح ان هنا تشويها لفويا خطيرا . فحاجة رجل الى امرأة لا يعني لفويا ولا اجتماعيا ان تكون هذه المرأة نفسها حاجة ، كما ان حاجة الرجل للمرأة لا ينفي اطلاقا ان تكون للمرأة حاجة مماثلة الى الرجل ، بخلاف ما يقصد اليه الهامش الطويل الذي بناه الكاتب على هذه القلطة اللغوية التي ارتكبها في سياق بحثه عن مبررات اثبات عنّة الشرقي الثقافية !

٥ - يقول الاستاذ طرايشي :

« في سهرة الوداع ، قبل سفر « الحبيب العربي » لقضاء اجازة الصيف في بيروت ، يلتقي بطلا « الحبي اللاتيني » ، وهما في طريقهما الى مطعم الكوبول ، يلتقيان ، بدون اي مبرر فني من داخل منطوق الرواية ب « فتاة رصيف » ، وذلك تجسيدا ، بتدخل خارجي عن مسار الرواية ، لمستقبل « الفتاة الضائعة » (ص ٩٦) .

وقد كنت اتمنى ان يشرح الكاتب مقاييس المبررات الفنية من داخل العمل الفني ، ومقاييس التدخلات الخارجية . . اليس هناك بعض الشطط في ان يسمح ناقد لنفسه بوضع منطوق لرواية ، ولا يسمح بذلك لمؤلف هذه الرواية ومصممها ؟

وبعد ، فنعتقد ان النقد الموضوعي المتجرد يتطلب من صاحبه ان يدخل حرم العمل الفني الذي يواجهه من غير افكار مسبقة ومخططات مبيتة وقواعد مقررة يحاول تطبيقها على الاثر ، فاذا لم تنطبق ، حكم بان الاثر بذاته يشكو الخلل او النقص . ان هذا في الحق منهج مشوه ومشوه ، وكنا نربأ بالاستاذ جورج طرايشي ، الذي نحترم عمله وجهده ، ان يعمد اليه .

سهيل ادريس

حياته ، فان الكاتب يصرّ على ان ذلك غير طبيعي ، وانه زائف وانه غير منطقي وانه مصطنع ، من غير ان يداخله اي شك في ان نظريته مخطئة من اساسها ، وان مشروع الانتقام غير وارد على الاطلاق ، لا في وعي البطل ولا في لاوعيه ! ذلك ان مجموع سلوكه مع البطلة الاجنبية لا يمكن ان يوحى بذلك من قريب او بعيد . .

٣ - ان الدارس لم يرد ان يدخل الباب الواسع ، او الباب الضيق ، الذي يكشف عن حقيقة واضحة : هي ان البطل كان في كل تصرفاته الاولى ، قبل ان يضيع آثار جانين ، يسعى وراء الحرية ويريد الاستمتاع بشمارها ، من غير ان يتحمل اية مسؤولية ، وإن ذلك كان الى حد بعيد بفعل الضغوط الاجتماعية والتقاليد التي يحمّل رواستها . على انه قرر بعد ذلك ان ينفذ عنه هذه التقاليد ، وان يتصدى لها ، وان يضطلع بمسؤوليته . .

غير ان صديقنا الاستاذ جورج لا يقبل هذا التطور في النفسية والسلوك ، ويصف تغير موقف البطل بانه كفازة ، وبان هذه الكفازة مسرحية . كما انه يرفض ان يفهم موقف جانين التي ظلت تحب رجلها العربي . لان « المنطق » الذي جعلها ترفض مسلك هنري ، يقضي عليها حتما بان ترفض مسلك العربي . . كان المواقف والطباع البشرية يجب ان تقوم كلها على المنطق . . ليس ثمة ما يمنع كائنا بشريا رفض موقفا معينا ان يعود في مرحلة اخرى من حياته فيستسلم لهذا الموقف تحت ضغط الظروف والاضاع . افلا تكون ظروف الاحباط واليأس والجوع كافية لتجعل جانين تسقط حيث لم تسقط في ظروف مختلفة ؟

ان مخطط الاستاذ طرايشي في حصر سلوك بطل الرواية بمشروع الانتقام تؤطره جبرية صارمة تحول دون ان يفهم او يتفهم اية ذبذبة بشرية في نفسية البطل .

والحق ان الكاتب كان يشك احيانا في ان يكون مشروع الانتقام الذي ركبه على البطل مقنعا ، فكان يشير مرة بعد مرة الى ان البطل لا يتحدث اطلاقا عن الانتقام ، لان هذا الانتقام كامن في لا وعيه فقط . . بينما يقول « ان الاستعمار ووعيه غير غائبين » عن الرواية (ص ١١٠) كيف يبرر الكاتب ان يكون البطل واعيا للاستعمار